الأثر القرآني في ديوان الإمام الحسين عليه السلام

الأستاذ المساعد الدكتور
عاطي عبيات
جمهورية ايران الإسلامية
جامعة فرهنكيان رسول الأكرم صلى الله عليه وآله ـ الأهواز
ati.abiat@yahoo.com

المقدمة:

يشكل القرآن الكريم منبعاً ثراً، وعطاء مستمراً، وملاذاً خصباً، يلجأ إليه الشعراء والأدباء في أعمالهم الأدبية المختلفة؛ لأنه يشكل جزءاً ثابتًا من حياتهم المعيشة، ويحمل نواة بقائهم ووجودهم واندماجهم بالحياة. وقد وجد الشعراء - منذ زمن بعيد - في القرآن الكريم ضالتهم التي ينشدونها للتعبير عما يجيش في خواطرهم من رؤى فلجؤوا إليه مستلهمين معانيه وأحداثه المختلفة محاولين ربط الأحداث المعاصرة به مما يعطي أشعارهم أبعاداً عميقة في القوة والتأثير، لاسيما أنهم وجدوا شبهًا واضحًا بين أحداث اليوم وأحداث الزمن الغابر. فلقد كان للغة القران الكريم أثر في لغة شعراء صدر الإسلام هذا الأثر انعكس عل الألفاظ ودلالات تلك اللغة إذ بدأ الشاعر يستعمل مفرداتها ودلالاتها في رسم صورهِ الشعرية والتعبير عنها (اللغة في شعر ابي اسحاق الالبيري(٢٣٥) والحق ان الحركة الشعرية لا تستطيعُ ان تقطع اشواط الصلة بجذور التراث الأدبي، فهو يمثل الاصالة التي تُعطي للقصيدة هويتها ولذلك يمكن ان نقول أن اللغة الشعرية تتخلص من الغريب والمهجور والمعقد إذا ازدادت ثقافة الأُمة[١] فاللغة الشعرية تحمل طاقات انفعالية جمالية تمد جسوراً بين المتلقي والشاعرُ، عندها ينبغي للشاعر أن يوصل تجاربه الخاصة بمنتهى القوة النافذة[٢]. فظل القرآن الكريم مصدراً يستلهم منه الأدباء معانيهم مستغلين طاقاتهم الإبداعية في الوصل بين تجاربهم ونصوصه؛ وهم بذلك يثبتون أن التراث الديني مستمر ودائم وقابل للتشكيل وإعادة الصياغة[٣]. لذلك شكلّ القرآن وأحداثه، حضوراً فاعلاً في الشعر العربي طيلة العصور، لذلك عَمَدَ الشعراء على توظيف النص القرآني وإستثماره والعمل على امتصاص لغته وأساليبه ومضامينه، فتكثيف استدعاء النص القرآني عبر

(التناص) جاء وفقاً لما ((تتميز بِهِ اللغة القرآنية من إشعاع وتجدد، ولما فيها من طاقات إبداعية، تصل بين الشاعر والمتلقي، بحيث تستطيع التأثير في المتلقي بشكل مباشر. يضاف إلى ذلك قابليتها المستمرة لإعادة التشكيل والصياغة)) من جديد، بحيث يستطيع عدّة شعراء أن يستثمروا الآية الواحدة، من خلال إسقاط مغزاها، أو شكلها، على أزماتهم الخاصة، لتعبر عن تجاربهم الفردية من دون أن يلتزموا صيغة واحدة))[٤] ولإثراء تجاربهم وتطوير أدواتهم التعبيرية عمدوا على تفجير الطاقات الكامنة في النص القرآني ووظفوا آياته ((بآليات متخالفة مرةً ومتآلفة مرات، وهذا يدلّ على أنّهم لم يتعاملوا معه بصورة آلية أو ميكانيكية أُحادية الدلالة، بل تعاملوا معه بوعي فكري ونفسي ووجداني، تتعدد فيها الدلالة وتتحول الآية أو (الشخصية القرآنية) إلى عالم يزخر بدلالات ومنظورات متعددة ومتكثرة، دون انفصال عن نسيج القصيدة، وتوهج التجربة الشعرية))[٥] واعتبر النص القرآني مصدراً غنياً للتناص وللإلهام الشعري على مستوى الدلالة والرؤية و((ذلك أنَّ استحضار الخطاب الديني في الخطاب الشعري المعاصر، يعني إعطاء مصداقية وتميُّز لدلالات النصوص الشعرية، انطلاقاً من مصداقية الخطاب القرآني، وقداسته وإعجازه))[٦] فالقرآن الكريم بألفاظه، ومعانيه، وتراكيبه وصوره كان حاضراً في شعر الإمام الحسين عليه السلام، وكان أثره واضحاً جلياً فأغني الإمام بهذا النبع الثري صوره الأدبية التي حفلت بها قصائده، ولعل استحضار تلك الصور كان أدق وأخفي على المتتبع، إذ يستدعي معرفة عميقة بما ضمه هذا الكتاب الكريم بين دفتيه من أسرار البيان وكنوزه. وهذا البحث ينطوي على محورين أساسيين: فالمحور الأول تركز على أهمية التناص أو الإقتباس القرآني في النص الأدبي والمحور الثاني تركز على أنواع التناص في شعر الإمام الحسين عليه السلام ومدى تأثيره على تجربة الإمام الفنية وبيان مدي تأثيره في نقل التجربة الشعرية والشعورية للمتلقي.

فرضية البحث:

عبقرية الإمام الحسين عليه السلام استطاعت أن تشق درباً غير الدعاء (الصحيفة الحسينية المسماة بانجيل وزبور آل محمد) وتخضع لغة (الخيال) أي الشعر انطلاقة لتجسيد المفاهيم القرآنية بهدف انتقالها عبر لغة الخيال والايحاء إلى أذهان الناس.

أهمية البحث:

١- يعتبر موضوع الأثر القرآني من المواضيع المهمة في كل عمل أدبي وتنطلق أهمية البحث والدراسة كونها تتناول أثر القرآن الكريم في شعر الإمام الحسين عليه السلام في محاولة لاستكشاف العلاقة الوطيدة بين الشاعر ومرجعيته الدينية والمتمثلة بالقرآن الكريم، والكشف عن مدي تأثر الإمام بتراثه الذي يأتي القرآن الكريم في المنزلة العلياء من منازله.

٢- كشفت هذه الدراسة عن جوانب أخري لأثر القرآن الكريم في شعر الإمام الحسين عليه السلام هو التناص وجوانبه المختلفة، ثم اثبتت الدراسة أنّ للقرآن الكريم أثراً واضحاً في إذكاء الجوانب الشعرية في ديوان الإمام مما أدي هذا الأثر إلى تطوير البنية الفنية للنصوص الشعرية.

٣- الكشف عن المضامين الشعرية الراقية المتمثلة بالنبل والفضائل والتأكيد على مفاهيم حيوية كالزهد والحكمة والتقوي والإبتعاد عن التوغل في ملذات الدنيا ومباهجها، والوقوف بوجه الظالم، والعمل على بسط العدالة، والتحذير والترهيب وهو في الواقع ديدن أهل البيت عليهم السلام في رفع المستوي الخلقي والثقافي بين ابناء الأمة الإسلامية.

١ـ حياة الإمام الحسين عليه السلام وسيرته العلمية والأدبية:

هو الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام ثالث أئمة أهل البيت عليهم السلام، وجدّه النبي محمد صلى الله عليه وآله وأبوه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وأوّل من أسلم وآمن برسالته، وكان منه بمنزلة هارون من موسي، كما صحّ في الحديث عنه(٧). وأمّه فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وبضعته، وفلذة كبده، وسيّدة نساء العالمين كما كان أبوها يصفها. فأبوه أحد سيِّدَيْ شباب أهل الجنّة، سبط الرسول وريحانته ومن قال فيه جدّه صلى الله عليه وآله: ((حسين منّي وأنا من حسين))، وهو الذي استشهد في كربلاء يوم عاشوراء دفاعاً عن الإسلام والمسلمين. وهو أحد الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام الذين نصّ عليهم النبيّ صلى الله عليه وآله كما جاء في صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما، إذ قال: ((الخلفاء بعدي اثنا عشر كلّهم من

قريش))[٨]. ترعرع الإمام في المدرسة المحمدية والعلويةﷺ وارتوي من نمير العلوم النبوية، واستقي من ينبوع أهل البيت الطاهرين. برز على الصعيد العلمي إماماً في الدين ومناراً في العلم، ومرجعاً لأحكام الشريعة وعلومها، ومثلاً أعلى في الورع والعبادة والتقوي، واعترف المسلمون جميعاً بعلمه واستقامته وأفضليّته، وانقاد الواعون منهم إلى زعامته وفقهه ومرجعيّته. كان للمسلمين عموماً تعلّق عاطفي شديد بهذا الإمام، وولاء روحي عميق له، وكانت قواعده الشعبية ممتدّة في كلّ مكان من العالم الإسلامي.

فسيرة حياة الإمام وتاريخها خير مدرسة للبشرية جمعاء واستطاعت أن تفرض بقوة بصماتها على الحياة الفكرية والثقافية على الحضارة الإسلامية والإنسانية. فأصبح واحداً من صُنّاع الحضارة الإسلامية ويشار إليه بلبنان في كل الأزمنة والأمكنة.وما من شك في أنّ الثورة الحسينية المباركة شكّلت حدثاً تاريخياً كبيراً في حياة الأُمّة الإسلاميّة، بل في مسار الإنسانيّة بصورةٍ عامة. ولم تكن هذه الثورة محض حدث تأريخي عابرٍ طواه الزمان فيما طوى من أحداث كثيرة، وإنّما مَثّلت عنصراً حاضراً في فكر ووجدان وحركة الناس إلى يومنا هذا. وقد تحوّلت عبر الزمن إلى مضخّة تضخّ بالحراك والهيجان الذي ساعد ويساعد على خلق روح ثورية دفاعية في النفوس، تقف مانعاً دون نفوذ كل جسم غريب أو تسلّط كل جائر. وكان عليه السلام مثالاً لجميع الفضائل ومكارم الاخلاق، وكان عليه السلام من أعبد الناس وأزهدهم وانبعث صوته بالفتح العظيم فاستوعب صداه جميع انحاء العالم الاسلامي، وهو ينادي بفجر جديد ويوم جديد، ليستأنف فيه الانسان المسلم رسالته، ويبدأ تاريخه، ويبني كرامته ويعدل سلوكه وينقض عنه غبار الذل وعار العبودية وينطلق في ميادين التحرر ليساهم في بناء الحضارة ويدخل موكب التاريخ. فالحديث عن الامام الحسين عليه السلام لا يستوعبه مجلدات أو كتب لأنه مدرسة متجددة على طول الدهر تعطينا العبرة بجميع نواحي الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية والاخلاقية و... الخ.

الدراسات السابقة:

فالدراسة التي نحن بصددها على حد ظنيّ والله أعلم، لم يفرد أحد من الباحثين بحثاً مستقلاً تناول شعر الإمام الحسين عليه السلام بل كل ما وجدناه هي أبحاث تركزت حول الصحيفة الحسينية وحول الأدعية الواردة وحول حقوق الإنسان وحول الشخصية العرفانية وحول

الزهد في الصحيفة الحسينية وحول بلاغة الإمام وما إلى ذلك من ابحاث تركزت على الجانب الديني والعقائدي والدور التاريخي للإمام والثورة الحسينية.

٢- التناص في اللغة والاصطلاح:

٢-١- مفهوم التناص لغة:

التناص مصطلح نقدي حديث وافد من الغرب، فرض حضوره في مجمل الدراسات الغربية والعربية منها مؤخرا. وهو حديث الوفادة على المشرق العربي، ولقد اختلفت النظريات والمفاهيم والتفسيرات حوله باختلاف التيارات الفكرية والمدارس النقدية أساسا في الغرب. والتناص لفظ يعود إلى جذره اللغوي (نصص)، وقد أورد أصحاب المعاجم اللغوية مجموعة من المعاني تفسر هذا الجذر، فقد جاء في لسان العرب أن النص: ((رفعك الشيء. نص الحديث ينصه نصا: رفعه وكل ما أظهر فعد نصّ. وقال عمرو بن دينار: ما رأيت رجلا أنصل لحديث من الزهوي: أي أرفع له وأسند... ونص المتاع نصاً: جعل بعضه على بعض... والنص: التحريك حتى تستخرج من الناقة أقصى سيرها،... والنص: الإسناد إلى الرئيس الأكبر والنص التوقيف والنص التعيين على شيء ما))[٩] فالجذر نصص يتولد عنه عدة دوال ومعان متقاربة، تنتمي جميعها إلى حقل دلالي واحد، ((وربما كان أكثرها اتصالا بالمنطقة النقدية، هو دلالتها على عملية (التوثيق) ونسبة الحديث إلى صاحبه وذلك عن طريق متابعة ما عند صاحب الحديث لاستخراج كل عناصره حتى بلوغ منتهاها))[١٠] أما التراكم الذي يكون (بجعل الشيء بعضه فوق بعض) فلا يقوم إلا على التمايز والتفاعل والتشارك، وفي إطار هذا المفهوم نستطيع أن نجد علاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للتناص، إذا علمنا أن مادة التناص بصورتها اللفظية تحتوي على المفاعلة؛ والمفاعلة لا يمكن تحققها الفعلي إلا إذا توفر التمايز والتعدد على نحو من الأنحاء[١١].

٢-٢-التناص اصطلاحاً.

يعتبر التناص (intersexuality) من أبرز تقنيات الشعر الحداثي وقد ظهر كمصطلح نقدي جديد في الآونة الأخيرة وارتبط هذا المصطلح بالمدارس النقدية الأجنبية، رغم أنّ ظاهرة التناص لها جذور عميقة في التراث النقدي والبلاغي العربي القديم، حيث (إنّ

التضمين والإقتباس والمعارضة والمناقضة تقترب إلى حد كبير من مصطلح التناص، مع الإقرار بأنّ التناص بصورته النقدية الآنية أكثر تطوراً وتعقيداً من هذه المصطلحات النقدية العربية القديمة، إذ إنّه يحمل طابع العصر ويدل على معانٍ وأنواع أكثر تعدداً وتنوعًا وتعقيدًا))[١٢] ولقد برز هذا المصطلح على يد ((جوليا كريستيفا))، غيرأن الولادة الحقيقية له كانت على أيدي الشكلانيين الروس أمثال شكلوفسكي وميخائيل باختين، حيث كثير من النقاد يعتقدون ((إنّ الأخير هو أول من صاغ نظرية في تداخل النصوص. على حين أن جوليا كرستيفا قد إستحدثت هذا المصطلح (التناص)، عند تقديمها لكتاب ((باختين)) عن ديستوفسكي))[١٣] فالتناص عند ((جوليا)) يقصد به ((أنّ كل نص هو عبارة عن فسيفساء من الإقتباسات، وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى))[١٤] بمعنى آخر أن كل نص يظهر للوجود من خلال إعادة أنتاجه من نصوصه مختلفة.

فالتناص بمعنى تداخل النصوص وتفاعلها من الظواهر التي تتسم بها النصوص الأدبية المنتجة بعامة، فالنص لابدّ له بصورة أو أخري من أن يتفاعل مع غيره من النصوص الأخري؛ لإنتاج نص أدبي جديد، يستقي أشياء كثيرة من تجربة الشاعر الذاتية،تنضاف إليها التناصات المقتبسة عمداً أو عفواً[١٥] فالتناص كما يقال ليس عملية شكلية تتأسس على التواصل الشكلي بين النصوص وإنما يعني التناص الفاعل تمازجا وتشابكا وتلاحما بين النصوص التي تقيض للقارئ فرصة معاينة النصوص معاينة قائمة على إثارة وعيه وإدراكه واستنفار معرفته وخبرته في النص الوافد وما طرأ عليه من تحولات في تغيير دلالاته عندما يدخل في نسيج النص الجديد ويصبح جزءا لايتجزأ منه، فالنص المستقبل ممكن أن يحور ويبدل ويغير في النص الوافد وذلك وفق ما تقتضيه رؤية المبدع.فالتناص يقوم بمزج وتركيب وإذابة النص في تركيب جديد مما يعطيه بُعداً دلالياً آخر،للنص الغائب في تركيبته الجديدة وتنشأ علاقة وطيدة وحميمية مابين النصين تبدأ بالإشارة وتنتهي عند إحاطة القارئ بمناخ دلالية تدفع به نحو قراءة تأويلية تقوه على التفكيك وإعادة البناء[١٦] فالتناص ((يكسب النص جانباً مهماً من قيمته ومعناه، مما يمكننا من إستجلاء المعاني التي يطرحها، ويعمق فهمنا لها، كما يمكننا من طرح عدّة توقعات حين نواجه النص، فيشبع فينا هذه التوقعات، ويزوّدنا بالمسلّمات التي تعيننا على فهم النص الذي نتعامل معه، والتي أرسلتها نصوص

سابقة، ويتعامل معها كل نص جديد بطريقته الخاصة، فينميها ويرسخها، ويضيف إليها، فالتناص بؤرة مزدوجة يلفت من خلالها الانتباه إلى النصوص الغائبة فتتخلي عن استقلاليتها، ويدعو إلى اعتبار هذه النصوص الغائبة مكونات لشيفرة خاصة تساعد على فهم النص الذي نتعامل معه، وتفضّ مغاليقه))[١٧].

٣ـ أهمية استدعاء التناص في النص الأدبي.

ترجع أهمية توظيف تقنية التناص لما تشكلّه هذه الظاهرة من أبعاد فنية وإجراءات أسلوبية تكشف التفاعل وأشكاله المختلفة بين النصوص، إذ يقوم استدعاء النصوص بأشكالها المتعددة الدينية والشعرية والتاريخية على أساس وظيفي يجسد التفاعل الخلاّق بين الماضي والحاضر.فالتناص عند ((أحمد الزغبي)) يقوم على أن يتضمن ((نص أدبي ما نصوصاً أو أفكاراً أخري سابقة عليه، عن طريق الإقتباس، أو التضمين، أو التلميح، أو الإشارة، أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدي الأديب، بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي وتندغم فيه ليتشكل نص جديد واحد متكامل))[١٨] وفي هذا الإطار يري محمد عبدالمطلب أنّ النضج الحقيقي، فنياً وإبداعياً، لايتم للشاعر إلاّ من خلال تمثل مبدأ التناص[١٩] الذي يمثل ((الهواء والماء والزمان والمكان للإنسان، فلا حياة له بدونهما ولا عيشاً له خارجهما))[٢٠] لكن التناص لا يعني أن يستسلم الشاعر للنصوص السابقة، فيصبح نصه إعادة آلية لما سبقه من نصوص، لأنّ الكلمة حينما تدخل النص الجديد تشحن بدلالات ومعان مختلفة وتحمل معها إيحاءات إلى حدما، قد تقارب الإيحاءات السابقة، ولكنّها تحتفظ لنفسها بخصوصية تضمن لها تحقيق ذاتها بعيداً عن ذوات الآخرين، وعندما تتراكب الكلمات ضمن سياقاتها الجديدة تجعل اللغة تتحرك وتنهض من ركام الذاكرة وفوضي الأشياء في عالم فاجع، لتؤسس كيانها وخصوصية ذاتها التي تنبع من خصوصية قولها، وتقدم تشكيلاً جديداً للعالم والأشياء[٢١].

٤ـ التراث الديني (القرآن) في الشعر المنسوب للإمام الحسين عليه السلام.

كان التراث الديني (القرآني) في كل العصور ولدى كل الأمم مصدراً سخيًا من مصادر الإلهام الشعري، حيث يستمد منه الشعراء نماذج وموضوعات وصوراً أدبية. وقد شكل التراث الديني مرجعية دلالية، لها حضورها القوي والفعال في القصيدة العربية وتميزه

وقدرته على النهوض بانفعالات المبدع وتجاربه، والتأثير مع الوجدان الجمعي؛ لأن المعطيات الدينية ((تشبع الإنسان وترضي رغبته في المعرفة، بما قدمت من تصورات لنشأة الكون، وتفسير سحري لظواهره المتنوعة))[٢٢] فقد وجدنا أن الإمام عليه السلام يقتبس من القرآن الكريم آياته المحكمات وهذا الاقتباس وقع على نمطين أما بالنقل الحرفي أو بالنقل الضمني وفي كلا الحالين سمت هذه العملية بالأبيات نحو الأبداع الفني والشعرية فتمتعت الأبيات بالأجواء القرآنية المقدسة التي تحدثت عن الايمان بالله تعالى وذم الدنيا ومشاهد القيامة والجزاء والجنة والنار والتقوى والإيمان بالقضاء والقدر والتوكل على الله في الرزق والصبر والقناعة وغير ذلك وقد ظهر هذا التأثر بالمعاني القرآنية في جوانب مختلفة كاللغة واللفظ والمعنى. أما في مجال الصورة فقد انماز التصوير الفني في هذه الابيات بالأجواء المقدسة حيث الارتباط بالسماء وقيمها الخالدة فتطلعنا إلى مشاهد القيامة والحساب والجزاء والجنة والنار والكافر والمؤمن وما أعده الله للصالحين من ثواب ونعيم مقيم في جنة الفردوس حيث الروح والريحان والراحة والسلسبيل وما ذلك إلا إمتداد للجدة والأصالة والذي ظهر في انواع الصور الاصلية والايحائية والمنقولة.

٥ـ الأثر القرآني (التناص) في شعر الإمام الحسين عليه السلام.

تأثر الإمام عليه السلام بالصورة القرآنية فعمد إلى اقتباسها لإثراء ابعاد صورته الشعرية فهو ينقل جوهر الحدث في صورته الشعرية ويضيف اليها من اسلوبه وشاعريته وتدور غالبية موضوعاتها حول اليوم الاخر وساعة قيام الساعة أو الجنة والنار الدنيا والغرور والزاد والتقوي والفلاح وغير ذلك. وعمد الإمام إلى استدعاء الصورة الإيحائية فهي تلك الصورة التي ((تومئ إلى اللفظة القرآنية من بعيد فهي تتضمن شيئاً من الصورة القرآنية ولكن المتلقي لا يستطيع ان يمسك عناصر الصورة القرآنية الا بالتلميح والتقرب، وهي بهذا تتفاوت في بعدها وقربها وفقاً لدرجة النباهة وبالحضور الذهني لدى القارئ[٢٣]. فالشاعر فيها يعبر عن صورة يستدعيها من سياقها القرآني ويضعها في بنيته الشعرية تشع فيها هذه اللفظة بطاقات ايحائية تسهم في اثراء صورته الشعرية والدافع من قيمتها ((هكذا تكون اللفظة الواحدة كافية لإشاعة الظلال التي تربط المتلقي بالشاعر ليعي ما يقدمه له، حين تكون هناك ملكة خلاقة تقوى على استغلال طاقتها التصويرية وامتداداتها النفسية))[٢٤] ومن هنا نستطيع أن

نقول ان الأثر القرآني (التناص القرآني) يزيد في فاعلية النص تأثيراً وإبداعاً فترتاح إليه النفس وتلتفت إلى السحر المبدع الذي الفته في آيات الذكر الحكيم. وما الاستشهاد أو الاحتجاج المندرج كما يقال في صُلب الخطاب الأدبي إلا حضور للنص القُرآني في ذهن الشاعر والحاحه على اتخاذ الموقع الملائم في البنية الشعرية وإسهامه في تنشيط فاعلية النص الشعري والتأثير إيجابياً في المتلقين. فلقد تأثرت بنية النص الشعري للإمام ببنية النص القرآني، إذ كثيراً ما نجده قد اقتبس جملاً وعبارات قرآنية استلهمها واستعملها في أشعاره لنقل أحاسيس ومشاعر وأفكار وعواطف جالت في خلجات نفسه أو أحاسيس أراد نقلها وتوصيلها إلى نفس المتلقي. فمحاولة الأديب الاقتباس من القرآن الكريم يعني ((محاولة التقرب من تلك الذروة العالية، وكلما أكثر الشعراء من اقتباسه كان أقرب إلى تلك الذروة))[٢٥].

لقد تضمن شعر الإمام عليه السلام حشداً كبيراً من المفردات ذات البعد القرآني والبعد الإسلامي استخدمها القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف. وهذا يدل فيما يدل على أن الإمام عليه السلام ذو ثقافة دينية واسعة .وقد قام بامتصاص دلالات المفردات المتناصة. وذلك لإعطاء الخطاب الشعري قيمة فنية خاصة ذات تأثير عميق في نفس المتلقي بعد أن يمنحها رؤيته الخاصة.لا تكاد قصيدة واحدة من قصائده ديوان الإمام الحسين عليه السلام تخلو من التناص الديني وربما تجد مئات المواقع المتناصة مع القرآن متناثرة في مجموع شعره .تضفي على نصوصه ثراء وتمنحه قدرة على التواصل مع القيم الكبرى في تراثنا الديني والفكري والأدبي، كما أن التناص من شأنه أن يساهم في تقوية النص وتصوير أفكاره وتجليته مما يزيده قيمة وفاعلية في وجدان الناس، وجمالا ورونقا وبهاء.

٦ـ أشكال التناص في شعر الإمام الحسين عليه السلام:

١-٦- التناص النصي (اقتباس النصي):

يعمد الشاعر أو الأديب في هذا النمط من الاقتباس إلى استدعاء النص القرآني في سياق بيته الشعري دون ان يقوم بتغيير النص أو تحويره وإنما يُشار إليه على أنه نص من القرآن الكريم ((لأن ما ينبه عليه يدخل في باب الاستشهاد))[٢٦]. ومن هنا نستطيع أن نقول ان الاقتباس القرآني يزيد في فاعلية النص تأثيراً وإبداعاً فترتاح إليه النفس وتلتفت إلى

السحر المبدع الذي الفته في آيات الذكر الحكيم. و((ما الاستشهاد أو الاحتجاج المندرج في صُلب الخطاب الأدبي إلا حضور للنص القُرآني في ذهن الشاعر والحاحه على اتخاذ الموقع الملائم في البنية الشعرية وإسهامه في تنشيط فاعلية النص الشعري والتأثير إيجابياً في المتلقين))[٢٧] والحق أن الاقتباس النصي لا يتحقق إلا بإتيان الشاعر النص القرآني و تراكيبه ومن ذلك قول الإمام الحسين عليه السلام:

وكيف يلذ العيش من هو موقن بموقف عدل حين تبلي السرائر

فالإمام قد استدعى نص الآية القرآنية ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ * فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾[٢٨] فاستضافها في بنية نصه الشعري مع تبنيه على أنه نصٌ قرآني، فكان أن جاءت الصياغة التركيبية مطابقة على مستوى بنيتها السطحية أما على مستوى بنيتها العميقة فقد جاء استعمالها الدلالي موافقاً ايضاً. فاقتبس الإمام قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ في عجز بيته بأكمله من حيث الصياغة التركيبية مع زيادة لفظة (حين) بدل (يوم) ليكتمل البيت الشعري.

وفي مقطع آخر قال الإمام الحسين عليه السلام[٢٩]:

ويفني ما حواه المرؤ أصلاً وفعل الخير عند الله باق

فقد اقتبس الإمام عليه السلام عبارة(عند الله باق) في عجز شعره قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٣٠] دون أن يحدث أي تغيير على البنية السطحية للنص الشعري فجاءت البنية السطحية موافقاً الصياغة التركيبية. فالإمام عليه السلام هنا اقتبس الآية القرآنية الشريفة كلها أو جزءاً منها دون الاشارة إلى فعل الاقتباس مُحدثاً بذلك التحاماً بين النص القرآني والنص الشعري فكما يقال هو التحام تلاصق وتجاور لا تداخل.

وفي مقطع أخر أنشد الإمام عليه السلام[٣١]:

وما ترجو النجاة به وشيكاً وفوزاً يوم يؤخذ بالنواصي

فلســـــت تنـــــال عفـــــو الله إلاّ بـــتطهير النفـــوس مـــن المعاصـــي

فنص الإمام عليه السلام يتشرب بالنص القرآني الذي استدعاه في عجز بيته الشعري من قوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾[٣٢] فعلى مستوى الصياغة التركيبية حدث تغيير طفيف حيث وظف الإمام (يوم) بدل(الفاء) لتتحقق استقامة الوزن في البيت الشعري، فالسياق الشعري جاء موافقاً دلالة النص القرآني الذي يؤكد أن الله عزّ وجل يجزي كل نفس بما كسبت في الدنيا ليجازي المحسن بإحسانه والمسيءَ بإساءته فهو لا يظلم أحداً من خلقه فالإمام يحث المتلقي ويشجعه على النجاة والسلامة إذا أرداها وتحقيق ذلك يتم عن طريق تطهير النفس وغسلها من الذنوب والأدران والإنابة إلى الله وطلب العفو والمغفرة منه.

وقوله أيضاً:[٣٣]

وعفـــــو الله أوســـــع كـــــل شـــــيء تعـــــالى الله خـــــلاّق الأنـــــام

يـــامن يجيـــب دعـــا المضـــطر في الظُلـــم يـــا كاشـــف الضـــرّ والبلـــوي مـــع الســـقم

وقد استوحي الإمام هذا المعني في صدر البيت الثاني من قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾[٣٤] واجري الإمام عليه السلام تعديلاً طفيفاً بالنص الغائب المستحضر فبدل همزة المنداء استعمل (الياء) للنداء بهدف تقريب العون ووصول العون والمساعدة للنفس المضطر من قبل الله عزّ وجل. فآيات القرآن الكريم وأساليبها في الدعاء والذم والتعجب والرجا وغير ذلك أصبحت المصدر الأول الذي يستنبط منه الإمام استشهاداته لما لها من دلالات مهمة وأبعاد أدبية عميقة.

٢-٦- الاقتباس الاشاري

إن الاقتباس الاشاري يعني ما أشار إليه الشاعر في الآيات من غير أن يلتزم بلفظها وتركيبها أو هو ما كان الشاعر يشير فيه إلى آية من الآيات القرآنية. ففيه ((يعمد الشاعر إلى الاختصار والتكثيف اقتصاراً منه على الدلالات الايحائية والاشارات الرمزية))[٣٥]. فالشاعر ينطلق من مبدأ أساسه ((الاقرار بقداسة النص القرآني فيتعامل معه بشيءٍ من التحريك والتحويل لا ينفي الاصل ولا يُحدث الشاعر ما يمس جوهره، ولا يتعارض

معه))[٣٦]. محدثاً بذلك امتزاجاً بين البنية القرآنية المعجزة والشعر منتجاً بذلك بنية جديدة.

كقول الإمام الحسين عليه السلام:[٣٧]

فما صرفت كفّ المنية إذ أتت ... مبادرة تهوي إليه الذخائر

ولا دفعت عنه الحصون التي بني ... وحفّ بها أنهارها والدساكر

فليس له من كربة الموت فارج ... وليس له ممّا يحاذر ناصر

فالاقتباس واضح الاشارة إلى الآية القرآنية في قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[٣٨] فإنّ هذا المفهوم يتواشج دلالياً مع ملفوظ النص الغائب، ويؤازر دلالته، ويدعم فكرته. وهنا تتجلي فاعلية الامتصاص الشعري للتركيب القرآني حيث وظفه الإمام عليه السلام بصياغة جديدة أكسبها نوعاً من الخصوصية، فالتناص هنا لم يعتمد على التمثل الخفي للتركيب القرآني بشكل يثير في نفس المتلقي قدرة إيحائية خاصة تمكنه أن يستجلي النص الشعري ومدي تأثره بالنص القرآني، ومدي استقطابه لبعض اللمحات والومضات القرآنية.

ويقول الإمام عليه السلام في هذا الصدد:

وإنّ متاع دنيانا قليلٌ ... وما يجدي القليل من المتاع

وقد استوحى الإمام عليه السلام تلك الفكرة من قوله تعالى في سورة النساء: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[٣٩].

وفي هذا المقطع الشعري تركز حضور الخطاب القرآني حضوراً فاعلاً لشحن النص الشعري بكم هائل من الايحاءات. فلقد كان الإمام من خلال هذه الدفقة الشهرية يدعو إلى ذم الدنيا ومتاعها فمقام الانسان فيها قليل فهو يدعو إلى التزود فيها لدار القرار دار البقاء والخلود والتزود فيها يكون بالتقوى فهي خير زاد يتزود به الانسان لآخرته فمن طلب العز ليبقى له فان عزَّ المرء يكون بتقواه.

٣-٦-الإقتباس المحور:

إن هذا النوع من الإقتباس يعني أن يقوم الشاعر بـ((استدعاء البنية القرآنية وإضافتها في خطابه الشعري وجعلها ممتزجة معه عن طريق العملية التحويرية للنص القرآني لفظاً ودلالة، حذفاً وتوليداً، تكثيفاً وتوسيعاً))[٤٠] يقول الإمام الحسين حول الدنيا وزينتها ومكرها تجاه الأهل وما يربح الإنسان منها[٤١]:

فَـــلا تَغرَنَّـــكَ الـــدُّنيا وَزِينَتِـــها ... وانْظُـــرْ إلى فِعْلِهـــا في الأَهْـــلِ والـــوَطَنِ

وانْظُـــرْ إلى مَـــنْ حَـــوَى الـــدُّنيا بِأَجْمَعِـــها ... هَـــلْ رَاحَ مِنْهـــا بِغَيْـــرِ الحَـــنْطِ والكَفَـــنِ

فالإمام عليه السلام قد أجرى بعض التغيير فحور في النص القرآني الداخل في نصّه الشعري الذي هو ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ (لقمان:٣٣) فأبدل ضمير الجمع للخطاب بالضمير المفرد، وحذف الحياة وأبقي لفظة الدنيا واردفها بلفظة زينتها ووجّه للخطاب لنفسه كي لا تغرّه الحياة بزينتها ويخذ الحذر من بريقها. وأما دلالة التركيب فتكاد تقترب من روح النص القرآني الذي جاء ليعبر عن معنى واضح هي أن الدنيا تفتك بمن يهواها وسيصيبه الغرور نتيجة حبّه للدنيا ويغتر ببريقها وزخارفها وبذلك سيبتعد عن الأهل والأصدقاء ويصيبه الغرور والتكبر ويبتعد عن الله نهائياً.

وفي هذا الصدد سئل الإمام عليه السلام عن أفضل الأعمال عند الله، فقال: ((ما من عمل أفضل عند الله تعالى بعد معرفة الله، ومعرفة رسوله أفضل من بغض الدنيا، وإن لذلك شعباً كثيرة، وإن للمعاصي شعباً، فأول ما عصي الله به الكبر، وهو معصية إبليس حين أبى، واستكبر، وكان من الكافلارين، والحسد وهو معصية ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله، فتشعب من ذلك حب النساء، وحب الدنيا، وحب الرئاسة، وحب الراحة، وحب الكلام، وحب العلو، وحب الثروة، فصرن سبع خصال، فاجتمعن كلهن في حب الدنيا، فقال الأنبياء والعلماء بعد معرفة ذلك.. حب الدنيا رأس كل خطيئة، والدنيا دار بلاء..)) (أصول الكافي: باب ذم الدنيا). إن حب الدنيا أساس البلاء، ومصدر الفتن، والأخطاء التي يمنى بها الإنسان، فإن تهالكه على الدنيا يجر له كثيراً من المعاصي والآثام، ويلقيه في شر عظيم، وقد ذكر الإمام عليه السلام بعض الآفات من حب الدنيا، والتي منها:- التكبر. الحسد. حب النساء وحب الرياسة. حب الراحة. - حب الكلام حب العلو على الغي- حب

الثروة.وهذه الآفات قد جعلت الإنسان يسلك في المنعطفات، وأغرقته في الآثام، وأبعدته عن طريق الحق.

وفي مقطع آخر يقول الإمام عن التقوي وضرورة التزود بالتقوي والزاد قبل دنو الموت، حيث يقول[٤٢]:

إذا أنت لم ترحل بزادٍ من التُقى ... ولاقيت قبل الموتِ من قد تزودا

ندمت على أن لا تكون كمثله ... وانك لم ترصد لما كان أرصدا

فلقد استمد الإمام هذا المضمون من قوله عزّ وجل: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِي يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾[٤٣]. والاقتباس في هذه القطعة الشعرية واضح وهو مما ((يزداد به الكلام حلاوة ويكتسب به رونقاً وطلاة ولاسيما إذا كان الاقتباس بآيات من القران الكريم فإنها تكون في الكلام كالشاهدة له، والمنادية على سداده))[٤٤].

وفي محور آخر يقول الإمام عليه السلام[٤٥]:

فمن حسُنت أفعاله فهو فائز ... ومن قبُحت أفعاله فهو زاهق

إنّنا نستشف في النص الشعري قوله تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾[٤٦] ولكن هذا الاستدعاء لم يخلو من التحوير بحيث أبدل الإمام (ثقلت - للنص الغائب) بدل حسُنت في النص الحاضر، كما أبدل المفلحون بالفائز وإن هي في معني واحد وأبدل الإمام عليه السلام (خفّت - للنص الغائب) بقبحت، كما أبدل لفظة خسروا القرآنية بلفظة زهق والتي تعني الباطل والخسارة أيضاً.فقد امتاح الإمام عليه السلام من مفردات القرآن الكريم وتأثر بالروح العامة لصياغاته الأسلوبية وإيقاعاته الإيحائية التي أضفت على نص الشاعر صفة القداسة، وجذبت اهتمام المتلقي وأحدثت تأثيراً بالغًا عبر تحريك ا لقيم الكامنة في وجدانه باكتشاف الفعاليات التناصية التي يقيمها النص الشعري مع القرآن مما يسهل عليه إدراك حقيقة التناص وحفظ النص، ومواصلة الترنم بأسلوبه، واستحضار الشبكة الدلالية للأسلوب القرآني.

وفي مقطع آخر يرسم الإمام القيامة وأهوالها ويصور ذلك اليوم بعدسة قرآنية إذا جاز التعبير، حيث يقول (الديوان: ٤٦)[٤٧]:

عظـــيم هـــوله والنـــاس فيـــه حيـــاري مثـــل مثبـــوث الفـــراش
هنالـــك منـــك مـــا قدّمـــت يبـــدو فعيبـــك ظـــاهر والســـرُّ فـــاش

فلقد قام الإمام عليه السلام باستدعاء بنية النص القرآني في خطابه الشعري عن طريق العملية التحويرية للنص الذي أخذه من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾[٤٨] فدلالة النَص الشعري فهي قريبة من روح النص القرآني الدالة عن القيامة وأهوالها. فالمشهد المعروض في الآية والمعني المستوحاة منه في لغة الإمام مشهد مخيف ((وهول مادي يبدو الناس في ظله ضئالاً على كثرتهم، فهم ((كالفراش المبثوث)) مستطارون كذلك مستخفون؛ وتبدو الجبال الثابتة كالصوف المنفوش تتقاذفه الرياح الهوج))[٤٩] وبعد هذا يمكننا أن نقول إنَّ الاقتباس الذي أداه الإمام عليه السلام قد تم عن طريق اقتباس لآيات كاملة وتراكيب بعينها ضمنها في أبياته الشعرية أو عن طريق اقتباس شبه كامل للآيات أو التراكيب القرآنية وقد يكون الاقتباس اشارات أو رموزاً لآيات معينة أو سور قرآنية بالاعتماد على ثقافة المتلقي القرآنية فضلاً عن ذكاءه وفطنته التي ترشده إلى فهمها بالإشارة أو الرمز.

وأنشد الإمام في مقطع آخر[٥٠]:

إذا نصـــب الميـــزان للفصـــل والقـــضاء وأبلـــس محجـــاج وأخـــرس ناطـــق
وأججـــت الـــنيران واشـــتد غيظـــها إذا فتحـــت أبـــوابها والمـــغالق

وفي هذا القطعة الشعرية يوجد تناص أو اقتباس محوري مع أكثر من آية في الموضع الواحد وهذه الكثافة التناصية تعود إلى تعدد السياقات داخل النص الحاضر أو تعدد الإشارات الصادرة منه. وقد استدعي الإمام الحسين عليه السلام في نصه البيت الأول قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ * وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾[٥١] وفي البيت الثاني قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا * وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾[٥٢] وقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ

عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ * قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ * وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (٥٣) وفي هذه الآيات تصدر إشارات دلالية واحد تشد النص الشعري إلى دائرتها وتحركه في فلكها.فالإمام عليه السلام قد تمثل معاني القرآن الكريم دون أن يتقيد بتراكيبه وعباراته فقد عمد إلى اقتباس لفظة قرآنية أو عبارة قرآنية واحدة مستفيداً بما فيها من طاقات تعبيرية وتصويرية موحية فضلا عن أن الأديب قد يعمد إلى استعمال عدة عبارات لإفادة التعبير والتصوير فضلاً عن تأثر قصيدة واحدة بمعان كثيرة من القرآن الكريم.

٧ـ المعجم الشعري:

عندما نطالع الديوان الشعري المنسوب للإمام الحسين عليه السلام نجد أصداء المعجم القرآني بكثرة كاثرة في لغة شعر الإمام عليه السلام فالقرآن يعتبر المصدر الاول لثقافة الإمام عليه السلام، ومن هنا نقول (إن ذلك كله يكاد يجري في ميدان لغوي واحد يتمسك بمقومات اللغة الأم ولا يفرط بها مما يؤدي إلى بقاء بصمات التراث اللغوي شاخصة فيما يلي من أجيال وبظهور من أساليب الكلام(٥٤) وتبقى عبقرية الشاعر والأديب وقفًا على اختياره الفاظه وحسن تنسيقه لها وتعد اللفظة هي الحجر الأساس في بنية القصيدة الشعرية وفي تلاحمها هي والالفاظ الاخرى تقديمًا أو تأخيرًا، حذفًا أو إضافة تتشكل الصورة الشعرية، فاختيار اللفظة المناسبة ليس بالأمر اليسير لذلك قال أحد النقاد لعمري انها لعملية شاقة، فعلى الانسان أن يغرق نفسه في الالفاظ وأن يغوص فيها حقيقة لا مجازًا حتى يشكل اللائق المناسب منها في الصورة المنشودة في الوقت المناسب. فاللفظة لا تحمل معناها المعجمي فقط بل تحمل طاقة إيحائية تشعٌ مع غيرها لخلق الابداع الفني. ومن هنا يستطيع الشاعر أن يتحكم بحرّية غير مألوفة في غير الشعر فيمنح تلك اللغة قيمتها الشعرية لا من خلال ما قررته من قواعد نحوية أو صرفية فهي تستمد قيمتها من خلال ارتباطها بعضها ببعض في اطار فني فنجدها تعتمد أحيانا على التقديم والتأخير أو الحذف أو التعريف والتنكير(٥٥) وقد حفل المعجم الشعري بالألفاظ القرآنية التي كشفت عن تقوى الشاعر وايمانه العميق بقيم السماء، وكشفت لنا عن موقعه من الحياة والعمل الصالح والتقوى من أجل الحياة الآخرة كقول الإمام عليه السلام (٥٦):

وإذا افتقـــرت إلى الـــذخائر لم تجـــد ذُخـــرً يكـــونُ كســـائر الأعمـــال

فهو يرى أن لا شيءَ ينفعُ الانسان في قبره عند موته إلا التقوى والعمل الصالح فهما خير زادٍ يتزود بهِ الانسان لآخرته. وفي مقطع آخر يضمن الإمام شعرة بالعبارة القرآنية حيث يقول(٥٧):

وكيـف يلـذّ العـيش مـن هـو مـوقن بموقـف عـدل حـين تبلـي السـرائر

وعن المحاسبة الدقيقة في يوم الحساب بحيث لا يظلم أحد يقول الإمام عليه السلام(٥٨):

وألفـــي كـــلّ صـــالحة أتاهـــا وســـيئة جنـــاها في الكتـــاب

فمفردات الشاعر الموحية المعبرة عن مشاعره واحاسيسه كانت قادرة على حمل افكاره وما يحتمل في نفسه وهي في محصلتها تمثيل صادق للإنسان المسلم المؤمن الذي لا يفارق الخوف والخشية من الله قلبه وعقله ابداً.

شكل المعجم الشعري للإمام الحسين عليه السلام نقلة نوعية في الأدب الإسلامي حيث تضمن هذا المعجم العديد من المفردات القرآنية والإسلامية والتي راحت تعبر عن روئ وآراء ودلالات نابعة من الصميم القرآني.ومن هنا عبر الإمام عليه السلام من خلال صياغته اللغوية ومفردات تراكيبه التي استقاها من المنبع الخصب الذي لا ينضب (القرآن الكريم) عن موقفه من الحياة والموت والبعث والقيامة والقضاء والقدر والتوكل على الله والصبر والقناعة بما قسمه الله وهو بذلك نجح في التعبير عن الوجدان الجماعي من خلال وجدانه الذاتي. ومن هذه المفردات التي كثرت بكثرة في معجم الشعري لفظة الجلالة وصفاته(١٤) (الله، الباري، عليم حكيم، المهمين، ذي العرش، العادل، القاهر، ذو قوة متين، ذي الجلال، قيوم، روؤف، التواب، الرحيم) ومفردة الموت حيث جاءت ٣٠ مرة في معاني مترادفة كـ:(المنية - الترحال، الرحيل، المنون، الردي، الآجل، سهم المنايا، والحتف بغتة) ومن المفردات التي شكلت ثقلاً لا يستهان به في معجمه الشعرية مفردة الدنيا حيث جاءت ٢٩ مرة بالألفاظ مترادفة كـ:(الدنيا، دار العناء، دار الفناء، ودار الغرور) وتصدرت أيضاً لفظة القبر بعشرة مرات. وراحت تتوالي الفاظ قرآنية مثل نار جهنم(١) والنيران(١) واشتد غيظها(١) والفاظ ايمانية مثل تقوي الله(٣) والزاد و زاد التقوي(٩) والآخرة(٥) الجنات(٣) والكتاب(٦) والصراط(٢) والشواظ(١) وبرّ الوالدين(١) وعروة الوثقي(١) والحساب(٤)

وإسماء القيامة ست مرات وهي (يوم الدين، مثبوث الفراش، يوم الحشر، يوم القيامة، يوم النشور، يوم الحساب) والعمل الصالح والخير(٨) وعفو الله(٢) وأهل البيت(٢) وبنو المصطفي(١) والبلي(٢) والرميم(٢) واللهو والملذات(٢) والتهجد(١) والغرور(٤) والفاظ دينية أخري.

ومن الفاظ هذه الأبيات ومعانيها يتكشف لنا مدى التزام الإمام ابلزهد ولاخلاق والابتعاد عن الدنيا والانقطاع إلى الأخرة ودعوته إلى معرفة حقيقة الإنسان والكون والفناء وهو بذلك يريد أن يجعل الإنسان يعتبر ويهتدي ويتمسك بالإيمان والقناعة والتوكل والصبر وأنماط السلوك الصحيحة الأخرى. كلها هذه الألفاظ القرآنية المشعة والموحية جاء بها الإمام ليؤثر في المتلقي ويحثه نحو الحياة الأخروية والتمتع بقدر ما سمح به الله عزّ وجل من الدنيا والاستعداد ليوم الرحيل والفوز برضا الله وجناته. لقد حفل شعر الإمام بشواهد كثيرة لم تُعنَ بحرفية النص القرآني أو الحديث النبوي الشريف قدر عنايتها باستلهام الروح الايمانية الذي يحققه الجهد الشعري اذ جاءت هذه الألفاظ بلسان الحقيقة والوضوح والصراحة والجزالة ولا سيما أنها قد اشتملت على معاني القرآن الكريم الذي يصلح لكل زمان ومكان. إن تأثر شعر الإمام بأسلوب القرآن الكريم الذي يميل إلى الوضوح ومخاطبة العقول بالحقائق جعل لغة هذا الشعر تميل نحو الوضوح و السهولة.

النتيجة:

القرآن الكريم بألفاظه، ومعانيه، وتراكيبه وصوره كان حاضراً في شعر الإمام الحسين عليه السلام، وكان أثره واضحاً جلياً فأغني الإمام بهذا النبع الثري صوره الأدبية التي حفلت بها قصائده، ولعل استحضار تلك الصور كان أدق وأخفي على المتتبع، إذ يستدعي معرفة عميقة بما ضمه هذا الكتاب الكريم بين دفتيه من أسرار البيان وكنوزه. فالإمام باعتباره القرآن الناطق أغني أسلوبه من هذا الكنز اللغوي والمعرفي الفريد وقد وظفّ النص القرآني لرسم صورة من خياله الخصب مقتبساً من النص القرآني لفظه ومعناه أحياناً.

وقد توزعت ظواهر التناص أو الاقتباس عدة محاور في شعر الإمام عليه السلام، كان لكل منها دوره الهام في إنتاج الدلالة، أو توجيهها وجهة معينة، كما أنها كانت تأخذ أشكالا مختلفة، بحيث تتفاعل المحاور مع الأشكال فتعطي التناص طبيعة داخلية وخارجية في آن واحد.

وقد كانت محاور التناص تتمثل في المفردة القرآنية وكذلك التركيب القرآني، ثم التناص مع أكثر من آية في الموضع الشعري الواحد، ثم التناص مع الآية كاملة، حيث رأينا الظاهرة تخرج من نطاق التناص إلى دائرة التنصيص، ثم الإضافة، حيث يضيف الإمام كلمة أو ضميراً إلى النص القرآني، فيخرج ذلك النص عن مساره القرآني إلى مساره الشعري الجديد.وقد رأينا أن النص القرآني أذكى شعرية الإمام عليه السلام، بما يحمله من دلالات ومعان وصور من خلال زيادة الغنى الدلالي للجملة الشعرية، ومن خلال عمق الصورة المستوحاة منه عبر استدعاء سياقات دلالية قرآنية تطابق - في بعض الأحيان - الدلالة المباشرة للجملة الشعرية، وقد تكمل - في أحيان أخرى - المعنى الذي بقي في ضمير الإمام. فعمد الإمام إلى اقتباس الصورة القرآنية لاثراء ابعاد صورته الشعرية فهو ينقل جوهر الحدث في صورته الشعرية ويضيف اليها من اسلوبه وشاعريته وتدور غالبية موضوعاتها حول اليوم الآخر وساعة قيام، والموت، والتقوي، والزهد والجنة والنار والتحذير من الدنيا وزخارفها والارشاد والهداية وغير ذلك من المفاهيم الإسلامية العريقة.

هوامش البحث

(١) أثر الاسلام في بناء القصيدة العربية حتى نهاية العصر الاموي، ص ١٣٦- ١٣٩.
(٢) قواعد النقد الادبي، ص٣٤.
(٣) الشعر والتاريخ، ص١٥.
(٤) التناص بين النظرية والتطبيق شعر البياتي نموذجاً، ص١٠٠.
(٥) آفاق الرؤيا الشعرية، ص٢٥.
(٦) القرآنية في شعر الرواد، ص١٣٤.
(٧) صحيح مسلم، ج٧، ص١٢١، نقلاً عن النسخة الكترونية المسمي باعلام الهداية الإمام الحسين عليه السلام.
(٨) إثبات الهداة، ج٢، ص٣٢٠، حديث، ١١٦ نقلاً عن أعلام الهداية الموقع الكتروني.
(٩) لسان العرب، مادة ن ص ص.
(١٠) قراءات اسلوبية في الشعر الحديث، ص١٣٧.
(١١) المصدر نفسه

(١٢) التناص في شعر فوزي عيسي، ص ١٤.
(١٣) التناص بين النظرية والتطبيق شعر البياتي نموذجاً، ص١٤
(١٤) التناص في شعر فوزي عيسي، ص ١٥.
(١٥) التناص في مختارات من شعر انتفاضة الاقصى المباركة،ص٨٤
(١٦) من معالم الشعر الحديث في فلسطين والأردن، ص١٦٥
(١٧) دراسات نقدية وقراءات تطبيقية، ص٤٩
(١٨) تبسيط الخطاب الشعري، ص٩
(١٩) قراءات اسلوبية في الشعر الحديث،ص١٤
(٢٠) تحليل الخطاب الشعري، ص١٣٢
(٢١) الرمز الشعري عند الصوفية، ص٣٤
(٢٢) المصدر نفسه، ص٣٥
(٢٣) اثر القران في الشعر الحديث، ص ١٢٤
(٢٤) أثر القران في الشعر الجزائري، ج١،ص٢٤٢
(٢٥) اقتباس شعراء صدر الاسلام من القران، ص١٧
(٢٦) حسن التوسل في صناعة الترسل،ص ٣٢٣
(٢٧) فاعلية التعبير القرآني في الشعر المحدث العباسي، ص٣٢٧
(٢٨) الطارق/٩-١٠
(٢٩) ديوان الإمام الحسين عليه السلام، ص٤٢.
(٣٠) النحل/٩٥-٩٧
(٣١) ديوان الإمام الحسين عليه السلام، ص٤٧
(٣٢) الرحمن/٤١
(٣٣) ديوان الإمام الحسين عليه السلام، ص٦٨
(٣٤) النمل/٦٢
(٣٥) القرآنية في شعر الرواد، ص٨٠
(٣٦) فاعلية التعبير القراني في الشعر المحدث العباسي، ص٣١٧
(٣٧) ديوان الإمام، ص٣٨-٣٩
(٣٨) النساء/٧٨
(٣٩) المصدر نفسه
(٤٠) القرآنية في شعر الرواد،ص٣٠
(٤١) ديوان الإمام عليه السلام،ص٧٣

(٤٢) ديوان الإمام عليه السلام، ص٦٢.
(٤٣) البقرة/١٩٧
(٤٤) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ص٢٣٢.
(٤٥) ديوان الإمام عليه السلام، ص٥٣.
(٤٦) المؤمنون/ ١٠٣
(٤٧) ديوان الإمام عليه السلام،ص٤٦
(٤٨) القارعة/٤-٥
(٤٩) مشاهد القيامة في القرآن، ص٦٥
(٥٠) ديوان الإمام عليه السلام،ص٦٢-٦٣
(٥١) المرسلات/٣٥-٣٦
(٥٢) الفرقان/١٢-١٣
(٥٣) الزمر/٧٢-٧٣
(٥٤) من تراثنا اللغوي القديم، ص٦
(٥٥) التعريفات، ص٥٢
(٥٦) ديوان الإمام عليه السلام،ص٥٦
(٥٧) المصدر نفسه، ص٤٠.
(٥٨) المصدر نفسه، ص٤٨.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١- إثبات الهداة، حر العاملي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، لبنان، بيروت.

٢- أثر الاسلام في بناء القصيدة العربية حتى نهاية العصر الاموي، غضيب احمد شاكر، رسالة ماجستير، جامعة بغداد كلية الآداب. العراق، بغداد،١٩٨٩م.

٣- أثر القران في الشعر الجزائري، محمد ناصر أبو حجام، غردابة، الجزائر، ١٩٨٧م.

٤- اثر القران في الشعر الحديث، عبود شراد شلتاغ، دار المعرفة، سورية، دمشق،١٩٨٧م.

٥- اختيار معرفة الرجال، محمد بن عمر كشي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، ايران، قم.

٦- اقتباس شعراء صدر الاسلام من القران، مكي العاني، مجلة آداب المستنصرية، العدد ٢٠، ١٩٩١م.

٧- آفاق الرؤيا الشعرية، إبراهيم نمر موسى، فلسطين، رام الله، ٢٠٠٥م.

٨- تبسيط الخطاب الشعري، زياد الزعبي، دراسة في بنية اللغة الشعرية ومصادرها عند حيدر محمود، منشورات أمانة عمان الكبري، عمان، ١٩٩٥م.

٩- تحليل الخطاب الشعري، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي،الدارالبيضاء،لبنان،بيروت،١٩٨٥م.

١٠- التعريفات، أبي الحسن الحسني الجرجاني، تحقيق د. أحمد مطلوب، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، بغداد، ١٩٨٦م.

١١- التناص بين النظرية والتطبيق شعر البياتي نموذجاً، أحمد طعمة حلبي، الهيئة السورية للكتاب، سوريه، دمشق، ٢٠٠٧م.

١٢- التناص في شعر فوزي عيسى، سالم عبدالرزاق سليمان، دار المعرفة الجامعية، مصر، اسكندرية، ٢٠١١م.

١٣- التناص في مختارات من شعر انتفاضة الأقصى المباركة، عبدالرحيم حمدان، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، مجلد٣، العدد٣، ٢٠٠٦م.

١٤- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ابن الأثير(ت٦٣٠هـ)، تحقيق مصطفى جواد جميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، العراق، بغداد، ١٩٦٥م.

١٥- حسن التوسل في صناعة الترسل، الحلبي (ت٧٢٥هـ)، تحقيق اكرم عثمان، وزارة الثقافة والاعلام، العراق بغداد، ١٩٨٠م.

١٦- دراسات نقدية وقراءات تطبيقية، حافظ صبري، دار الشرقيات، مصر، القاهرة، ١٩٩٦م

١٧- دراسات وبحوثات للعاملي، نقلاً عن أعلام الهداية الموقع الكتروني.

١٨- ديوان الإمام الحسين عليه السلام: اعداد عبد الرحيم مارديني: ديوان الامام الحسين بن علي عليه السلام وصاياه وحكمه وكرمه، بيروت، دار المحبة.

١٩- الرمز الشعري عند الصوفية، عاطف جودة نصر،، دار الأندلس، لبنان، بيروت، ١٩٨٧م.

٢٠- الشعر والتاريخ عبده قاسم، مجلة الفصول، المجلد٣، العدد٢، ١٩٩٤م.

٢١- صحيح مسلم، أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري(ت٢٦١هـ)، تحقيق واشراف عبد الله احمد أبو زينة دار احياء الشعب، مصر.

٢٢- العقد الفريد الأندلسي، ابو عمر احمد بن محمد ابن عبد ربه (ت٣٢٨هـ)، تحقيق احمد امين ابراهيم الابياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٣، مصر، القاهرة.

٢٣- فاعلية التعبير القرآني في الشعر المحدث العباسي، عبدالله الحذيفي اطروحة دكتوراه كلية الآداب الجامعة، ١٩٩٩م.

٢٤- قراءات اسلوبية في الشعر الحديث، محمد عبد المطلب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٥م.

٢٥- القرآنية في شعر الرواد، محمد التميمي، رسالة ماجستير كلية الآداب، العراق، القادسية، ٢٠٠٠م.

٢٦- قواعد النقد الادبي، لاسل ابركرمبي، ترجمة محمد عوض محمد، ط٣، مصر، القاهرة، ١٩٥٤م.

٢٧- لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت.

٢٨- مشاهد القيامة في القرآن، القاهرة، سيد قطب، دار المعارف، مصر،٢٠٠٣م.

٢٩- مقروءة كتاب مقدمة الشهيد محمد باقر الصدر قدس سره في الصحيفة الحسينية، آية الله الشهيد محمد باقر الصدر، العراق، نجف الاشرف.

٣٠- من تراثنا اللغوي القديم، طه باقر، مطبعة المجمع العلمي العراقي، العراق، بغداد، ١٩٨٠م.

٣١- من معالم الشعر الحديث في فلسطين والأردن، خليل إبراهيم محمود، دار مجدلاوي، عمان، ٢٠٠٦م.